كشكول الاخاء

اجتماع النقيضين

صور بعض الناس

من أجمل ما قرأناه في الادب العربي عن اجتماع النقيضين في أخلاق بعض الناس كتاب عبد الله بن معاوية الى بعض اخوانه : « أما بعد ، فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك أنك ابتدأتني بلطف على غير خبرة ، ثم أعقبني جفاء من غير جريرة

فأطمعني أولك في اخائك ، وأيأسني آخرك عن وفائك ، فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك اطراحاً ، ولا أنا في عدم انتظاره منك على ثقة ، فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف

* * *

وقريب من هذه الصورة قول ابن الرومي في صاحب له متباين الاهواء مضطرب الخلق ، مملوء بالمتناقضات :

منشبث بملاقي متخلص طوراً بماذقي ، وطوراً بخاص
متخصص بالمجد ، إلا أنه بضاد ما يسعى له متخصص
حلو الصداقة مرها ، فصديقه شرق بماء أخائه متغص

ولعل هذه القصيدة هي أبدع ما قرأناه في هذا الباب ، وما أبدع قوله منها :

لا تخلطن حلاوة بمرارة ان المخلط في الاخاء منغص
كن أظل ثبت لا يزول ، ولا تكن ظل السحاب يظل ثم يقلص

* * *

وقد وصف عبد الله ابن معاوية صديقا له ، ولكنه لم يبلغ شأو ابن الرومي ، ولا داناه — وان أحسن — في وصفه ، فقال :

رأيت فضيلا كان شيئا ملثما فكشفه التمحيص ، حتى بدا ليا

فأنت أخي ما لم تكن لي حاجة ... فان عرضت أيقنت أن لا أخا ليا
كلانا غني عن أخيه حياته ... ونحن اذا متنا أشد تغانيا
فلا زاد ما بيني وبينك ، بعد ما ... بلوتك في الحاجات إلا تماديا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولعل القارىء يشعر بشيء من التفكك بين سياق هذه الابيات . على أن قائلها قد أجاد وأبدع أيما ابداع في بيتيه اللذين ذاع صيتهما حتى تمثل بهما أكثر الادباء ، ونحن نرويهما تنويها بذكره على سبيل الاستطراد :

لسنا وان أحسابنا كرمت ... يوما على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ، ونفعل مثل ما فعلوا

وشبيه بهذا المعنى قول عامر بن الطفيل :

واني وان كنت ابن سيد عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها ، وأتقي ... أذاها ، وأرمي من رماها بمنكب

خبث أبي نواس
كيف سلم من القتل

لما وقع الخلف بين الامين والمأمون ، كان ذو الرياستين يخطب بمساوىء الامين ، وقد أعد رجلا يحفظ شعر أبي نواس ، فيقوم بين يديه ، فيقول :

« ومن جلسائه (الامين) رجل ماجن كافر مستهزىء متهكم ، يقول كذا وكذا ، وكان مما ينشده قوله :

يا أحمد المرتجى في كل نائبة ... قم سيدي نصر جبار السموات

وقد استطاع بمثل ذلك أن يبغض الخراسانيين في أهل العراق ، فلما بلغ الامين ذلك ، جزع له ، وأمر بقتل أبي نواس ، ولما أحضره للقتل ، أحضر الفقهاء ، بعد أن جمعوا له كل من يحسنه من الشعراء وغيرهم

ثم قيل له

ألست القائل : « يا احمد المرتجى الخ »

قال : « بلى ! يا امير المؤمنين »

قال . « كافر »

ثم قال للفقهاء : « ما تقولون يا معشر الفقهاء والشعراء ؟

قالوا « كفر يا أمير المؤمنين »

فقال ابو نواس :

« يا امير المؤمنين ، إن كانوا قالوا هذا بعقولهم ، فما انقصها وان كانوا قالوه بآرائهم ، فما اجهلهم : أيكون زنديقا مقر بأن للسموات جباراً »

قال : « لا والله ، ولقد صدقت »

وفي رواية أخرى أنه قال :

« اجمع كل زنديق في الارض ، فان زعموا أن في السماء الها واحدا فاضرب عنقي ، ولكني صحبت قوما جهلاء ، لا يعرفون المزح والجد ، وأنا يا أمير المؤمنين القي أقول :

قد كنت خفتك ، ثم أمنني من أن أخافك خوفك الله

الصناديقي

ظهر الصناديقي في اليمن في سنة (٢٧٠ هـ) وقد بلغ بن عتوه أن خوطب بالربوبية ، وكوتب بها ، ويروون عنه أنه كانت له دار افاضة يجمع اليها نساء البلدة كلها ، ويدخل الرجال عليهن ليلا

قال من يوثق بخبره :

دخلت اليها لانظر ، فسمعت امرأة تقول : يابني » فقال : « يا أمه » ، نريد أن نمضي أمر ولي الله فينا »

وكان يقول :

« اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ، ولا ولد من والد ، فتكونون كنفس واحدة

وفي زمانه كانت الغيان تلعب بالدف وتقول :

خذي الدف يا هذه والعبي وبني فضائل هذا النبي

تولى نبي بني هاشم وقام نبي بني يعرب
فما تبتغي السم عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
اذا القوم صلوا، فلا تنهضي ولن صوموا، فكلي واشربي
ولا تحرمي نفسك المؤمنين من أقربين ومن أجنبي
فكيف حللت لذاك الغريـ ـب و صرت محرمة للاب
أليس الغراس لمن ربه وروّاه في عامه المجدب
ومـا الخمر الا كماء السحا ب طلق، فقدست من مذهب

وشيوع النساء من رأي جماعة المزدكية (أتباع مزدك) الذي زعم أن الله قد بعثه ليأمر بشيوع النساء والاموال بين الناس كافة كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ ، لانها انما تحدث بسبب النساء والمال .

وقد كانت خاتمة « الصنادقي » القتل ، فقد غزاه « الحسني » من صنعاء ؛ فهزمه وتحصن في حصن هناك ، فأنفذ اليه « الحسني » طيبا بمبضع مسموم ، ففصده فقتله . وبذلك ختمت حياته الملوءة بأقبح الشرور والآثام .

مباراة في الكسل

من الذى أحرز الفوز ؟

أوصى أحد الكسالى ـ وكان غنياً ـ أن تعطى كل ثروته بعد موته الى أكسل أولاده الثلاثة

فلما مات ذهب الاولاد الى قاضي المدينة ليحكم بينهم ، فسألهم ان يقصوا عليه ـ واحدا بعد الآخر ـ أغرب ما يميزهم عن سواهم من صفات الكسل :

فقال الاول :

« اني لأكون صاديا والى جانبي الماء ، فأتكاسل عن الشرب

وقال الثاني :

انى لأستلقي على الارض في يوم من أيام الصيف القائظة المتهبة فتدركني الشمس

ـ وربما كان نصفي في الظل ونصفي الآخر في الشمس ، فيمنعني الكسل عن التحرك من مكاني لانتقل الى الظل

وسكت الثالث ، فسأله القاضي : فلم يحر جوابا ، فكرر عليه السؤال فلم يجبه ، فاستفسر القاضي عن سر صمته فأجابه اخوانه انه متكاسل عن الرد ، فحكم له بالمروءة كلها لتفوقه على اخوانه في الكسل

أبو سعاد

آلام الفقير

للشاعر الانجليزي الذائع الصيت « سوذي »

مترجمة بقلم « ك . ك »

سألني الغني :

« ممَّ يتألم الفقير ؟ »

فأجبته أن اتبعني حيث أقول لا وأنا الكفيل باقناعك

...

كنا في الماء وكان منظر الطرقات التي تراكمت على أرضها الثلوج يدعو الى الانقباض والوحشة ، وكنا مرتدين لباسا سميكا احكمنا دثاره لشدة البرد ، ولكن ذلك لم ينقذنا من قشعريرته

واذا بشيخ مسن عثرنا به في طريقنا ، ولم يكن في رأسه الا خصلات قليلة من الشعر الابيض ، فسألته :

« ماالذي أخرجك من بيتك ، وماذا تعمل في هذه الليلة القرة ؟ »

فاجابنا :

« حقا انها ليلة قاسية البرد ، ولكني — وليس لدي وقود في بيتي فاضطررت الى مغادرته ، واستجداء الناس المعونة

...

ورأينا طفلة صغيرة عارية القدمين ، تسأل الناس بصوت مرتفع جرىً فسألتها :

« وماذا تصنعين هنا في هذه الريح الصرصر ؟ »

فقالت :

ان أبي لا يستطيع مغادرة البيت الان ، فقد ألزمه المرض فراشه ، وثم اضطررت الى الخروج أستجدي الناس لعلي أحصل على بُلْغة [1] من العيش

...

ورأينا امرأة جالسة على صخرة تستريح ، وعلى صدرها طفلة ، وفوق ظهرها أخرى

فسألتها :

«وما الذي أخرجك في هذه الريح العاتية ؟ »

فالتفتت الى طفلها الذي كان من خلفها ، وأمرته أن يكف عن صياحه ، ثم قالت لنا :

« ان زوجي جندي طوّح به القدر الى مكان قصيّ ، فلم أجد مندوحة للذهاب صوب الكنيسة متكففة »

...

وهنا التفت الى صاحبي الغني الذي وقف حينئذ واجماً ، وقلت له :

لقد سألتني : « مُم يتألم الفقير »

وقد أجابك كل هؤلاء .

---

(١) ما يتبلغ به من الزاد